مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 4 (رت 73) السنة: 2023

مسألة الإرادة الإنسانية عند محمد إقبال
من خلال كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام

The question of Human Will According to Muhammad Iqbal Through his Book Renewing Religious Thinking in Islam

أسماء دهواني[1]
جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–
asmadahouani06@gmail.com
أ.د عمارطسطاس
جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–
testas@oulook.fr

تاريخ الوصول 2022/07/01 القبول 2023/05/07 النشر على الخط 2023/06/05
Received 01/07/2022 Accepted 07/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

بحث إقبال في مفهوم الذات الإنسانية حتى لقب بفيلسوف الذاتية، ولما كانت إرادة الإنسان أهم ما يميّز الذات وما يكسبها فاعليتها في الكون، اعتنى إقبال ببحثها و إثباتها و التأصيل لها في مشروعه الإصلاحي. كان هدف إقبال الأساسي النهوض بالأمّة الإسلامية التي توسّلت بالقدر لتبرّر الجمود والتخلف الذي وصلت إليه، وهنا تكمن أهمية بحث المسألة في فكر إقبال.

تم تخصيص البحث في مسألة الإرادة الإنسانية عند إقبال في كتابه:"تجديد التفكير الديني في الإسلام"؛ لأنّه يحمل خلاصة مشروعه التجديدي الإصلاحي. قامت الباحثة بدراسة مسألة الإرادة الإنسانية في فكر إقبال من خلال تتبعها في فصول كتابه للإجابة عن الإشكالية التالية: كيف عالج إقبال مسألة الإرادة الإنسانية في كتابه؟

خلص إقبال في حل مسألة الإرادة الإنسانية إلى اعتقاده الجازم بإرادة الإنسان الحرة، معتمدا على تدبّر القرآن وتعقّل الكون والاستفادة من التراكمات المعرفية السابقة المبثوثة في العلوم الإسلامية وفي الفلسفات الغربية.

الكلمات المفتاحية: الإرادة الإنسانية، الذات الإنسانية، الحرية، التجديد، محمد إقبال.

Abstract:

The issue of the human will occupied a great deal of research in Islamic sciences, In the modern times, Muhammad Iqbal who discussed the issue in his research on the human self, dealt with the notion of human free will through his movement of renewing Islamic thought. This article is based on his book Reconstruction of Religious Thought in Islam since he presented a solid scientific conception of the issue; accordingly, in this article I examined the notion of free will by tracing it in his book noting that the author depicted his firm belief in the freedom of will which he built on contemplation of the Quran and the universe and also benefiting from the previous accumulations of knowledge transmitted in Islamic sciences and Western philosophy.

Keywords:. Self. Human Will. Free. Islamic thought. Mohammad Iqbal.

[1] المؤلّف المراسل: **أسماء دهواني** البريد الإلكتروني: **asmadahouani06@gmail.com**

1 مقدّمة:

يحمل الموروث الفكري الذي تركه محمد إقبال عمقا فلسفيا وبعدا عمليا، ينمّ عن التنوع الفكري والثقافي الذي شكّل تراكماته المعرفية. إقبال الذي يعرف بفيلسوف الشرق نشأ وتربى في أسرة مسلمّة، ونهل وتعلّم من القرآن والفلسفة الإسلامية والفلسفة الشرقية القديمة[1]، كما تعرّف واستفاد من الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة.

وظّف إقبال معارفه وقدراته من أجل بحث وتحديد مشكلة العالم الإسلامي، وكان الإنسان هو مركز فلسفته وذلك ليقينه أنّ الخلاص من التخلف يكمن في إخراج الإنسان المسلم من الضعف والعجز وإعادة تفعيل مقوماته الحضارية. الحالة الراهنة للأمّة في فترة إقبال كانت تستدعي بحث الإرادة التي تميّز الإنسان عن باقي الكائنات وتجعله مخولا للبناء الحضاري من خلال ما تمدّه من حرية وتكسبه حس الاختيار والمسؤولية والتمييز بين الخير والشر. عرض إقبال أفكاره ونشرها شعرا ونثرا لتصل إلى مختلف فئات المجتمع، بقصد بعث الفاعلية الإيمانية في نفوسهم وإخراجهم من الركود المتوارث، كذا وتطعيمهم ضدّ اللاأمن الوجداني الذي يعاني منه الإنسان المعاصر والشكّ الفوضوي باسم نقد الدين وتجاوز التراث.

بحث إقبال وناقش في كتابه تجديد التفكير الديني الإسلامي أهم التساؤلات التي استدعتها الحالة التي آلت إليها الأمّة الإسلامية من تخلّف وتقوقع حول ميراث عصور الانحطاط. كانت مشكلة الإرادة الإنسانية من أهم التساؤلات التي تتطلّب بحثا تجديديا خاصة بعد انتشار التفسير الجبري لمسألة القدر والذي يسلب الإنسان الإرادة والفعل ،وإن كان الاعتقاد بالجبر يرجع إلى بداية نشأة النقاشات الدّينية الأولى في مسألة القضاء والقدر، والتي عادت إلى الظهور بقوة مع توالي انهزامات المسلمين النفسية أمام الاندفاع الحضاري الغربي، حيث كان النّاس يفسرون هزائمهم و انكساراتهم تفسيرا جبريا معتقدين أنّ كل ما يحدث معهم هو قضاء وقدر.

أمام هذا التفسير الجبري للقدر ناقش إقبال مسألة الإرادة الإنسانية بفلسفته الدينامكية، وهذا هو محور إشكاليتنا التي يمكن صياغتها كالتالي: كيف عالج محمد إقبال مسألة الإرادة الإنسانية في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام؟ وكيف أثبت وجود تميز للذات الإنسانية في موضوع الإرادة؟.

بحث هذه الإشكالية والإجابة عنها اقتضى من الباحثة تتبع أفكار إقبال في مسألة الإرادة الإنسانية في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، وكذا الاستئناس بتحليلات وقراءات بعض المفكرين والباحثين للنصّ الإقبالي في هذه المسألة، كما واقتضت المنهجية العلمية التعرّف على المسار المعرفي لمحمّد إقبال وعلى القراءة الكاملة في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام.

للإجابة عن تساؤلات البحث تمّ تقسيمه إلى عناصر أساسية تتمثل في: حياة إقبال وإنتاجه الفكري؛ ثمّ التعريف بمميزات كتاب إقبال تجديد التفكير الديني في الإسلام؛ وبعدها الإرادة الإنسانية الحرة في فكر إقبال والتي عرضها في إطار بحثه في موضوع الذات الإنسانية.

[1] – انظر أيضا، الشريف الزيتوني، الذات الإنسانية في فلسفة محمد إقبال، مجلة الأصالة للدراسات والبحوث، عدد 10، سنة 2019، ص 88.

الهدف المرجو من بحث : "مسألة الإرادة الإنسانية عند محمد إقبال من خلال كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام" هو المساهمة في تقديم رؤية محمّد إقبال لمسألة الإرادة الإنسانية و هو الفيلسوف المفكر المتميّز بروح صوفية متشبعة بالإيمان. منبعها القرآن الكريم الذي لازمه منذ صغره عملا بوصية والده "اقرأ القرآن كأنه أنزل عليك"[1]. كما يهدف البحث إلى فتح المجال أمام الباحثين في نفس المسألة إلى الاستفادة من طرح إقبال لها خاصة في الوقت الراهن الذي مزال الإنسان المسلم يعلّق فشله على القضاء والقدر. كما يراد من هذا البحث نشر تصور متوازن وسطي عن إرادة الإنسان وقدراتها، لكي يعرف المسلم بما ميّزه الله تعالى من قدرات تمكّنه من التحقق بمهمة الاستخلاف في الأرض.

2 الإرادة الإنسانية عند محمد إقبال المفكّر

1.2. المسار المعرفي لمحمد إقبال

قبل البحث في موضوع الإرادة الإنسانية الحرة، نبدأ بالتعرف على المفكّر وأهم المحطات التي أثرت في حياته، وساهمت في بناء تراكماته المعرفية وكانت لبنة في إنتاجه الفلسفي والأدبي. ولد محمد إقبال في سيالكوت، في البنجاب يوم 2 فيفري سنة 1872م.عرف عن والديه التقوى والصلاح والحرص على تربية أبنائهما تربية دينية إسلامية، كما حرصا بشدّة على أن يتعلم محمد إقبال القرآن منذ صغره وأن يحافظ على قرآن الفجر، وهذه البداية القرآنية لإقبال صنعت منه –ومنذ بداياته كشاعر – مسلما مقتنعا بإسلامه مفتخرا بالإيمان به. افتخار إقبال بهذا الدين جعله في غنى عن ذكر انتماء أجداده إلى البراهمة، رغم ما كان سيكسبه من شعبية أكبر في الهند لو افتخر بهذا الانتماء.[2]

بدأ إقبال نظم الشعر في سن مبكرة من مرحلة الشباب، كما قصد جامعة لاهور سنة 1895م، حيث تعرف هناك على أستاذ الفلسفة الإسلامية المستشرق السير توماس ارنلد (ت: 1930)، والذي أثّر كثيرا على المسار الفكري لإقبال. بعد تخرّج إقبال من الجامعة وقع عليه الاختيار لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور، ثمّ شغل منصب مدرّس فلسفة ولغة إنجليزية في الكلية التي تخرّج منها[3].

في عام 1905م سافر إقبال إلى أوروبا للأخذ من علومها ومعارفها كما نصحه أستاذه السير توماس ارنلد، فمكثّ فيها ثلاث سنوات مكّنته من تطوير أفكاره. اعتبر إقبال هذه الفترة من حياته فترة التعرف على الحضارة أكثر منها فترة بحث وتعمق في العلوم والفلسفات. أنهى دراسة الدكتوراه في الفلسفة بجامعة ميونخ ونشر أطروحته الموسومة بـ "ما وراء الطبيعة في فارس"، أظهر إقبال في أطروحته قدرة عالية وعميقة في البحث والنظر وتوازنا نفسيا من خلال موضوعيته التي ظهرت في طرح موضوع شرقي بطريقة علمية في الغرب دون أن يكون منساقا لا وراء نظرة المستشرقين السائدة في تلك الفترة عن الشرق و لا وراء شرقيته[4].

---

[1]– محمد إقبال،تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس، تقديم، الشيماء الدمرداش العقالي، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، سنة 2011، ص2.

[2]–عزام عبد الوهاب، محمد إقبال وفلسفته وشعره، بيروت 1972، ص17/16.

[3]– انظر، محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، سنة: 1957، ص382.

[4]– انظر، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص2.

المدّة التي قضاها محمد إقبال في الغرب لم تصنع منه شخصا منبهرا بمظاهر الحضارة الغربية مثلما حصل مع الكثيرين ممن درسوا في أوربا، على العكس من ذلك فقد تمكّن من فهم الغرب جيدا والتمييز بين ما هو حضاري بنائي وبين ما هو مادي يقوم على المظهر ويتجاهل الجوهر في الإنسان. أعطى إقبال الكثير من وقته في هذه المرحلة لإلقاء محاضرات تعريفية بالحضارة الإسلامية حيث حرص على التعريف بالإسلام ومضامينه وقيمه الإنسانية التي تجلّت في حضارته التي كانت الرائدة في مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، وحرص على الحفاظ على انتمائه الديني وتقديم هذا الدين الذي ينتمي له للعالم. إقبال المتشبث بإيمانه لم يمنعه ذلك من الاستفادة مما عند الغرب في المجال الفلسفي و العلمي وهذا ما ميزه عن غيره من رواد الحركة الإصلاحية في العصر الحديث.
احتكاك إقبال بفكر الغرب ساهم كثيرا في إثراء فهمه المميّز للمسائل العقدية الإسلامي: فبعد أن كان في شعره مقلدا ميالا إلى وحدة الوجود، انصرف إلى الاهتمام بكلية الإسلام بما فيه من أوامر ونواهي يصلح بها حال الأمّة الإسلامية ويعود إنسانها إلى الفعل الحضاري من جديد، فلا يبقى مجرد مقلّد لما وصله من أبائه أسيرا لعقيدة الآباء المتوارثة التي ذمّها القرآن في الكثير من المواضع، ولا يصبح مجرّد تابع لبريق الحضارة الغربية المادية. تغيّر إقبال بعد المدة التي قضاها في أوروبا من أنصار القومية الهندية إلى أنصار القومية الإسلامية، وهذا راجع ربما إلى تحرر وتوسع مساحة الانتماء الإيماني في عقله وقلبه على حساب الانتماء الجغرافي أو الإقليمي بعد التجربة التي خاضها في أوروبا[1].
إقامة إقبال في أوروبا جعلته يعايش الحضارة الغربية بكلّ مظاهرها المادية ويرى بوضوح كيف سلبت من إنسانها كلّ ما هو روحي وجعلت منه مجرد جسد يسعى لإشباع شهواته ورغباته. معايشة إقبال للحضارة الغربية هي ما دفعت به إلى ضرورة التفكير في حلّ وسط بين مادية الغرب المفرطة وروحية الشرق المغالية: حل يجعل من الإنسان فاعلا في الحياة من أجل هدف سماوي أرقى من المادة الفانية دون الجهل بهذه المادة بل السعي للبحث فيها والتعرف عليها لتسخيرها في خدمته كما جاء في القرآن الكريم.
ترك إقبال إنتاجا فكريا وشعريا وصل إلى أكثر من اثني عشر مؤلفا، بعضها كتبه باللغة الإنجليزية ككتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام الذي خصصه لعرض تصوره عن التجديد- سيتم التطرق له لاحقا- وكتب بعضها بالفارسية والأردية كديوان رسالة المشرق "بيام مشرق" الذي جاء ردا على الشّاعر الألماني غوته(ت: 1830) صاحب "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، وكتاب رسالة الخلود الذي ألّفه كرسالة للشباب في العصر الحديث: عرض فيه فكرة المعراج الّتي تقود الشاعر إلى سياحة في الأفلاك بعد أن تقبل الله دعاءه للتخلص من قيد الزمان والمكان، فتظهر له روح مولانا جلال الدين الرومي، والذي يكون مرشدا له في سياحته إلى السموات، فيلتقي الشاعر برفقة مرشده بعدد من المصلحين والصوفية والفلاسفة الذين ذكر منهم الفيلسوف نيتشه(ت: 1900)[2]، حيث اعتبر إقبال الفيلسوف نيتشه مؤمنا بقلبه كافرا بعقله، وفي آخر الديوان يوجّه رسالة إلى الجيل الجديد. اعتبر بعض النقاد أنّ جاويد نامه كان محاكاة للكوميديا الإلهية الغربية التي ألفها دانتي(ت:1321)[3]، علما أنّ الكثير من الباحثين اعتبروا دانتي أخذ الكوميديا الإلهية عن أبي العلاء المعري (ت: 1057).

[1]-انظر، المصري حسن مجيب، محمد إقبال في السماء، مكتبة الإنجلو المصرية، سنة 1973، ص20.
[2]- انظر، جاويد نامه ،محمد إقبال، رسالة الخلود، ترجمة، محمد سعيد جمال الدين، 1974، جامعة عين شمس، من ص258.
[3]- عزام عبد الوهاب، ص95.

محمد إقبال الذي تميّز في العالم الإسلامي ككل، كان بالنسبة لشعبه المنارة التي ترشده في فوضى العصر الحديث، وقد تسببت وفاته في توقف كثير من القطاعات في باكستان، وانشغلت كلّ فئات الشعب بتشيع جنازته، فكانت وفاته هي خسارة للفكر الإسلامي والإنساني والأدب، حيث لم يظهر من بعده من استطاع أن يكمل مسيرته و يلهم الشباب بشعره ويغرس فيه النفحات الإيمانية ويعزز فيه روحه الانتماء إلى الشرق، الذي يتعرض لحملة غربية مغرضة تروّج لفكرة ضعف وتخلّف وهمجية هذا الجزء الجغرافي من الأرض[1].

2.2 قيمة ومضمون كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام

شغلت إشكالية نهضت الأمّة الإسلامية رواد الفكر الإسلامي ودعاة التجديد بمختلف توجهاتهم الفكرية ومذاهبهم الدينية، فوضعوا تصوراتهم ومشاريعهم لحلّ مشكل تخلّف المسلمين في كتب جاءت تحمل عنوان التجديد أو ما يرادفه. يعتبر كتاب إقبال الذي بين يدينا من أبرز كتب التجديد وأكثرها إثارة للجدل حيث كان لزمن نشر الكتاب سمات خاصة: "جاء كتاب إقبال في فترة زمنية حساسة كانت تمرّ بها الأمّة الإسلامية والتي عبّر عنها هو بأنّها اللحظة التي ما بعد نهاية الدولة العثمانية التي تميّزت بتحرك بعض المفكرين وبعض الدول للخروج بالأمّة الإسلامية من جمود الأفكار والعقائد، واعتبر إقبال أن هذه المرحلة تشبّه مرحلة ثورة الإصلاح البروتيستانية التي فيها ما يمكن أن نستفيده من أجل إخراج الأمّة من جمودها"[2]. و في هذا السياق نفهم أن كتابه هذا هو بحث في سبل إعادة بعث حركة الأمّة بداية بالدعوة إلى استعادة مكانة الإنسان في العلوم الإسلامية، وإلى حرية الذات الإنسانية فلا حكم لسلطان أو عقيدة جامدة عليها.

اشتهر محمد إقبال في المجال الفكري بكتابه تجديد التفكير الديني الإسلامي، وهو عبارة عن محاضرات كان قد ألقاها باللغة الإنجليزية على طلبته مابين عامي 1929/1928م، وذلك بطلب من الجمعية الإسلامية في مدارس الهند استمر في إلقاء هذه المحاضرات في مدينتي حيدر أباد وعليكرة الهنديتين. ترجم الكتاب إلى اللغة العربية في مصر و يعد هذا الكتاب أهم مؤلفاته لما يحمله من أفكار فلسفية حتى أنّه تجاوز أطروحته للدكتوراه أهمية فلم يبق هناك مجال للمقارنة بينهما حسب رأي النقاد رغم الأهمية الكبيرة التي يعطيها إقبال لأطروحته.

كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام يتضمن قواعد فلسفة إقبال وأصولها القرآنية [3]، كما أنّه يقدّم لنا تصوره للكون والله والذات الإنسانية في فصوله السبعة التي بحث فيها في المعرفة، التجربة الدينية، علاقة الفلسفة بالدين والفرق بينهما. يقول إقبال في ذلك: "لقد شرحت لكم كيف يمكننا الإثبات الفلسفي لمفهوم الإسلام عن الألوهية. ولكن كما سبق أن قلت أيضا: مطامح الدين تسمو على ما تطمح إليه الفلسفة، فالدين لا يقنع بمجرد الإدراك وإنّما يبحث عن علم وثيق، كما يبحث عن صلة أكثر التحاما بالموضوع الذي يبحثه. هذه الصلة التي تحقق الارتباط أو الاتحاد بالله هي الصلاة، أو العبادة التي تنتهي بإضاءة روحية."[4]. فالفلسفة تبحث

---

[1]– انطر، تاريخ الفلسفة الإسلامية، فخري ماجد، تج: كمال اليازجي، الجامعة الأمريكية،بيروت، ص478.

[2]–انظر، نقد إقبال ، كيف نقرأ إقبالا اليوم؟،، زكي الميلاد، كتاب الفيصل، الكتاب 19، مجلة الفيصل العددان:494/493،.ص65.

[3]–انظر،محمد، أمان صافي، تأثير فكر الأفغاني في فلسفة إقبال،ط:1، سنة:1995 ص40

[4]– محمد إقبال،تجديد التفكير الديني الإسلامي، ترجمة: محمد يوسف عدس، تقديم، الشيماء الدمرداش العقالي ،دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، سنة 2011، ص149.

في الدّين وفي مفهوم الإله بقصد التّعرف فقط، أمّا الدّين فيبحث فيها للحفاظ على الارتباط بالله وذلك من خلال الالتزام بالصلاة التي تعتبر عماد الدين، وبحث فيها مفهوم الألوهية ومعنى الصلاة والذات الإنسانية، وروح الثقافة الإسلامية ومبدأ الدين وختمها بإمكان الدين عقلا وحركة الدين الإسلامي التي تقتضي ضرورة تحرك المسلمين و انعتاقهم من الجمود الذي ورثوه من عصور الانحطاط.

ويمثّل هذا الكتاب أهم كتب المدرسة الإصلاحية[1] التي دعت إلى التجديد في عصر إقبال ومن بعده. والذي جاء تزامنا مع ظاهرة التأثر السريع للمسلمين بالحضارة الغربية، تاركين وراءهم الجانب الروحي الذي تربوا عليه مندفعين نحو بريق الحضارة الغربية المادية التي تكفر بكل شيء ما عدى المادة، وتكفر بكلّ ما لا يحقق غاية أو مصلحة، وقد تخوّف إقبال من أن يحجب بريق الحضارة الغربية حقيقتها عن الإنسان المسلم، فيتخاذل عن الغوص والبحث في حقيقتها المتخفية وراء بريقها الأخاذ[2]. وجاء كتابه هذا لصدّ العجز واللبس وتوضيح ما هو ديني و ما هو فلسفي وحقيقة كل منهما، حيث " أخذ إقبال في هذه المحاضرات على عاتقه مهمة تحديد الأسس الفكرية للفلسفة الإسلامية بما يلائم الأجواء وروح العصر الحديث، ويقاوم تحديات الفكر الغربي والمادي إلى حدّ كبير"[3]. تميّز كتاب تجديد التفكير الديني الإسلامي بأنّه ليس تجديدا في الأفكار فقط بل يتجاوز ذلك ليكون دعوة إلى تجديد طريقة التفكير في الدين الإسلامي، الفلسفة، في الله، الإنسان والكون. وكان الكتاب هو النموذج العملي لهذه الدعوة التي قال بها إقبال حيث ناقش العديد من المسائل التي أرقت الفكر الإسلامي والإنساني بمنهجه الجديد الذي استفاد فيه من الخبرات المعرفية في الشرق والغرب، وانطلق فيه من القرآن الكريم، و كانت مشكلة القدر و والإرادة من أهم المسائل التي ناقشها إقبال في كتابه.

لقد أرقت مشكلة القدر و والإرادة في بداياتها الفلسفية والفكرية الفكر الإسلامي والفلسفي لعقود من الزمن و أدت إلى انقسام الباحثين إلى جبريين وإلى دعاة الحرية أو ما يعرف في العصر الحديث بالطبيعيين و العقليين. فالطبيعيون يقولون بأنّ الإنسان مجبر بقوانين الطبيعة وتركيبة جسمه الضعيف الخاضع للهرمونات والكروموزموات التي تتحكم فيه وتحدد اختياراته، و العقليون يقولون بالحرية غير المشروطة للإنسان. لقد عالج إقبال موضوع الإرادة الحرة للإنسان في الفصل الثالث المعنون بمفهوم الألوهية ومعنى الصلاة، و الفصل الرابع المعنون بذات الإنسان وحريته وخلوده.

3.2 . مسألة الإرادة الإنسانية: التصور والتأصيل

الإرادة من المفردات التي بحثت الفلسفة عن مفهومها وانشغلت بها وذلك لارتباطها بمبحث الحرية الذي شغل الفكر الفلسفي الإنساني إلى يومنا هذا ولم يتم الفصل فيه. فهناك من ذهب إلى أنّ الإرادة محلّها النفس وأنّها شعور داخلي للإنسان و"ميل يعقب اعتقاد النفع"[4]. فيما ذهب آخرون إلى أنّ الإرادة محلّها العقل وأنّها تصور للقيام بأمر مع استحضار الهدف وامتلاك الوسائل اللازمة

[1]- انظر، زكي الميلاد، محمد إقبال وتجديد الفكر الديني في الإسلام،

[2]- هذا ما يتلّمسه الباحث بقوة وهو يقرأ دواوين إقبال التي تبعث العزة في الشباب المسلم وتصقل فيهم موهبة أخذ الحسن ورفض القبح في الحضارة الغربية.

[3]- سيد، عبد الرحمان الماجد الغوري،محمد إقبال الشاعر المفكّر الفيلسوف، دار ابن كثير،ط1، سنة200/1421ص 106،

[4]- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، سنة: 2004ص16/17.

للوصول للهدف، وأنّ الإرادة هي القرار العقلي الذي يسبق الهدف[1]، فالإرادة على هذا هي قوة في العقل تسبق الفعل وتكون هي مصدر الميل لذلك الفعل، الذي يعتقد به صاحبه تحقيق المنفعة أو الخير[2].

الإرادة موجودة سواء شعر بها الإنسان في نفسه أو لا، فهي الدافع الشعوري للفعل واختيار فعل دون آخر والميل له، أو هي الجانب التصوري للفعل قبل أن يتحقق في الواقع عن طريق تجسيده في الواقع بالاستعانة بالوسائل وتحقيق الأهداف المحددة سابقا في العقل، فهي الميزة التي تسبق فعل الإنسان كل ما همّ أن يقرر أو يطلب شيئا وتحدد اختياراته في هذا العالم الذي يضعه أمام سبل مختلفة وتنوعات لا حصر لها. شعور الإرادة هو الجانب المعبّر عن الحرية في الإنسان. قام إقبال في إطار بحثه المهتم بالذات الإنسانية[3] بدراسة الإرادة.

–دلالة الذات الإنسانية : هي مركز فلسفة إقبال الإحيائية، التي شغلته وجعلته يهتمّ بكلّ تفاصيلها بداية باختيار المفردة المناسبة للتعبير عنها، والتي احتار في اختيارها إلى أن استقر على المفردة الفارسية "خودي" واعتبرها مؤدية للمعنى من حيث كونها تحمل معنى "الإحساس بالنّفس أو تعيين الذات"[4] . والذات عند إقبال لا يقصد بها الجانب المادي من الإنسان أو العقلي ،إنّما يدلّ عليها الجانب الروحي منه: الذي يتجلى في مظاهر اللطف واللين من دمع العين الذي يفيض تعبيرا عن الخوف والاعتراف بالضعف أو الانبهار و الاندفاع لاستكشاف ما حوله، كما و تتجلى الذات الإنسانية في الأمان الذي يشعر به العابد في صلاته و يقينه أنّ الكون يسير وفق سنن إلهية. هذه التجليات اللطيفة واللينة للذات لا تعني أنّها هشة وضعيفة إنّما تدلّ على قوة الذات الفردية التي تتميّز بوسائل تساعدها على مواجهات التحديات لمقصد إعمار الأرض والقيام بوظيفة الاستخلاف على أكمل وجه، وبهذا تستحق الذات الإنسانية أن تكون المعبّر عن الحقيقة التي وجد من أجلها هذا العالم [5].

والذات كما لها تجليات لها وظيفة حسب إقبال، حيث اعتبر أنّ الذات هي الموجّه والمدبّر في حالة التوتر والقلق الذي يعيشه الإنسان في بحثه عن المعرفة ، فالذات هي التي تدرك الأشياء وتحكم عليها وهي مكمن الإرادة في الإنسان، وحياة الذات لا تكون إلّا في قلب التصادم المتبادل بن المادة والروح حيث تشكّل الذات مركز التوجيه والقيادة كما أنّها تنمو وتتطور بقدر التجربة التي تكتسبها من هذه الوظيفة[6]. قد انطلق إقبال من القرآن في تحديد وظيفة الذات وذلك من خلال تدبره لقوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }[7]، فكلمة "أمر" التي استعملها القرآن في معرض بيانه للروح هي: "التوجيه والتدبير، وفي ذلك يقول القرآن {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ }[8]؛ وتعني هذه الآية أنّ الطبيعة الأساسية للروح هي التوجيه والتدبير، لأنّها

---

[1]– ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة،ص210.

[2]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، سنة1983. ج1، ص58/57.

[3]– انظر كتاب حسن حنفي عن إقبال الذي عنونه محمد إقبال فيلسوف الذاتية، والذي بحث فيه واستخرج تصور إقبال الإسلامي عن الذاتية والتي تذهب إلى أنّ الإنسان هو مركز الوجود الذي اختاره الله وميّزه بين مخلوقاته بما وهبه من قوة تعقل وإدراك وإرادة حرة .

[4]–انظر، محمد،إقبال، ديوان الأسرار والرموز، تج: عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ط: 2012،ص16

[5]– انظر، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص24.

[6]– المصدر، نفسه، ص170

[7]– سورة الإسراء، الآية: 58.

[8]– سورة الأعراف، الآية: 54.

تصدر عن الطاقة الإلهية المدبرة، رغم أننا لا نعرف كيف يتصرف "الأمر" الإلهي –كموافقات– ذات وضمير المتكلم المستخدم في كلمة ربّي يلقي مزيدا من الضوء على طبيعة سلوك الذات"[1]، وعلى هذا فمهمة الذات هي إرشاد الإنسان بكلّه المادي والروحي وتوجيهيه في هذه الحياة، وهذه الطبيعة التي يحددها إقبال للذات تخدم الهدف الذي تتحرك نحوه الذات والمتمثل في إثبات وجودها المتميّز والمنفرد[2].

ومصدر هذه الذات القوية الموجهة للإنسان هو الذات الإلهية، وهذا ما فهمه إقبال من القرآن الذي ينصّ على أنّ الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، حيث يقول:" ...الذات المطلقة أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد الذي في رقبته، ونحن مثل اللؤلؤ نحيا ونتحرك ونستمد وجودنا من فيض الوجود الدائم لله "[3]. و قول إقبال بالفيض الإلهي الذي كانت منه الروح أو الذات الإنسانية كأسمى معنى للخلق لا يقصد به القول بوحدة الوجود والتي نفاها في قوله : "..وبناء على ذلك فإنّ التعبير المجازي عن الذات الإلهية مطلق وليس دلالة على حلولها في كلّ الأشياء، لأنّ ذلك يؤدي بالتسليم إلى وحدة الوجود" [4].

الحديث عن القالب المادي للإنسان حاضر في فلسفة إقبال المبنية على تدبره لآيات القرآن التي تقدم للجسد كحامل للذات في هذا العالم المحكوم بسنة الزمان والمكان[5] و هذه ما تدل عليه الآية في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [6]. ولكيّ تحافظ الذات على حياتها بثنائية الروح والمادة، وتؤدي وظيفتها المنوطة بها وتحقق سموها وارتقاءها عليها أن تبقى في سعيّ مستمر نحو تحصيل الوسائل واتخاذ الأسباب للوصول إلى غايتها والتي اعتبرها إقبال كالنجم حيث قال: "...و تحيى الذات إذا ما تحركت وتقدمت وسعت إلى الأمام حتى تصل إلى النجم دون توقف."[7]، ويذكّر إقبال الإنسان بأمر مهم وهو أن يحذر من التغافل عن ذاتها المتميزّة بسبب صراعه الدائم مع القيود التي تفرضها عليه الطبيعة المادية لعالم الذات الخارجي، و أن يتذكّر دائما أنّ تلك القيود التي وضعت أمام الذات الإنسانية في هذا العالم المادي ما هي إلّا تحديات تواجهاها لاستخراج أسمى ما فيها من خير وإبداع، فالذات الإنسانية هي الوحيدة في هذا الكون القادرة – حسب إقبال – على فهم إبداع الخالق المبثوث في الكون و ذلك لأنه سبحانه وهب الإنسان "القدرة على أن يتخيل عالما أفضل، وأن يحول ما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون، وسنجد أنّه لتحقيق المزيد من التفرد والوعي دائم التطلع إلى استثمار كلّ البيئات التي تحيط به في إطار مهمة لا نهائية"[8].

[1]– المصدر، السابق،171.
[2] ديوان لأسرارو الرموز، ص19.
[3]– المصدر، السابق، ص123.
[4]– المصدر السابق، ص111.
[5] – انظر، المصدر، السابق، ص172.
[6]– سورة المؤمنون، الآية 14/12
[7]– المصدر، السابق، ص36.
[8]– المصدر، السابق، ص124.

وخلاصة القول في تصور مفهوم الذات الإنسانية عند إقبال: هي ذلك الأمر الإلهي الروحي المفرغ في القالب المادي المتمثّل في الجسد، المتحركة نحو تحقيق المقصد من وجودها بتوجيه الإنسان وإرشاده لاعمار الأرض، لتستحق بذلك أن تكون أسمى تجلي للذات الإلهية في هذا الكون.

– *تصور الإرادة الإنسانية عند إقبال* : إنّ الذات الإنسانية عند إقبال هي أسمى معاني الوجود، و ما كان لمثل هذا المعنى الأسمى إلّا أن يتميّز بإرادة حرة يحتاج كشفها إلى نظرة كليّة لمسألة الإرادة الإنسانية. إن الإرادة الإنسانية تقتضي تجاوز النظرة الجزئية التي انقسم الفلاسفة والمتكلمون بمقتضاها إمّا إلى جبريين يؤمنون بالله كفاعل حقيقي والإنسان خاضع مجبر أو بالطبيعة كقوة مسيرة لا يمكن للإنسان أن يتجاوزها أو دعاة للحرية يقولون بالحرية المطلقة متجاهلين أي إلزام أو قانون كوني يخضع له الإنسان ويقيّد حريته، وهذا التقسيم حسب إقبال متعارض مع مبدأ الوحدة الكونية الذي تدرس فيه المسائل في إطار كليّ وليس في إطار جزئي. هذه النظرة القاصرة لمسألة الإرادة الإنسانية جاءت كنتيجة لوظيفة العقل القاصر الذي تبرمج على تفكيك مادة بحثه ودراستها كأجزاء منفردة وفصلها عن كليّاتها. ولتفادي هذا الطرح التقليدي القاصر نظر إقبال إلى مسألة الإرادة الإنسانية نظرة كلية لا تعتمد على العقل وحده كأداة للتفكّر بل تعتمد التجربة الجوانية أيضا.

اعتبر إقبال أنّ النفس أو الذات الإنسانية تفعّل إرادتها الحرة وتكتشفها بقدر ما يصفي الإنسان نفسه من كلّ القيود التي تشده إلى الأرض، فهي تسليم القلب لكل حسن وتنقيته من كل قبح، بداية بقبح الأنانية وحبّ التملك والسلطة الذي أدخل البشرية في حروب وصراعات لم تهدأ على مرّ التاريخ. إرادة الإنسان التي تجعله يختار الخير كما يختار الشر؛ والذي يظهر في رغبته الملحة لتحصيل السلطان والسيطرة على كلّ ما حوله، فبإرادته التي منحه الله إياها وبحريته يريد أن يجبر ويتجبر على كلّ ما حوله من كون وكائنات وحتى على أبناء جنسه لتحقيق غايته المنشودة في أن يكون المالك الوحيد لكلّ شيء، وفي سبيل هذا راح يفتعل كلّ أنواع الحروب والصراعات منذ بداية الحياة على هذه الأرض كما جاء في لقرآن: {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [1].

الإرادة الإنسانية بالنسبة لإقبال مكمنها الذات وهي منبع حرية الإنسان، التي تميّزه عن باقي الكائنات بقدرته على فهم الطبيعة وتسخيرها[2]، و تجعل منه كائن أخلاقي له قدرة التمييز بين الخير والشرّ. إقبال بهذا التصور للإرادة تجاوز المعالجة القديمة لمسألة الإرادة الإنسانية من البحث الفلسفي الجدلي في سؤال هل الإنسان حرّ؟ إلى سؤال عملي يخدم مهمّة الاستخلاف المنتظرة من الإنسان وهو: كيف يكتشف الإنسان حريته؟ وما هي تجليات الإرادة في سلوكاته؟

من خلال تقصي بحث إقبال في مسألة الإرادة الإنسانية يمكننا عرض تصوره لها في النقاط الآتية:

– التميز بين الخير والشرّ: هو النقطة المركزية الذي ينطلق منها إقبال لحلّ سؤال الأبعاد الوظيفية لتميّز الإنسان بالإرادة الحرة، فيبدأ أولا بتقديم أدلة من القرآن بما لا يترك مجالا للشكّ تؤكد إرادة الإنسان الحرة، وذلك من خلال عرضه لقصة خلق آدم وهبوطه إلى الأرض، والتي فهمها من خلال تدبّر الألقاب المختلفة التي تطلق على الجنس البشري في القرآن، والتي تتجاوز كونها مجرد ألقاب. هذه الألقاب تدلّ على مراحل تطور الجنس البشري، يقول إقبال: "...الواقع أنّ الآيات التي تتحدّث عن أصل الإنسان ككائن حيّ يستخدم فيها القرآن كلمات "بشر" أو إنسان" لا كلمة آدم التي احتفظ بها للإنسان من حيث قدرته على خلافة الله

[1]– سورة الأعراف، الآية: 24.

[2]– المصدر السابق،ص127

في الأرض"[1]، فالقرآن يوظّف كلمة بشر وإنسان في مقام الحديث عن أصل الإنسان ونشأته الأولى، ويستعمل كلمة آدم في مقام تقديم الإنسان كخليفة لله في الأرض مزوّد بوسائل تمكّنه من تسخير الطبيعة وإدراك قيمتها، وما يمكن أن يبدعه من خلال استثمار مكوناتها بتفعيل ملكة التعلّم والتعقّل المزود بهما.

تطور الإنسان إلى كائن يميّز الخير من الشر يتطلب أن يكون فاعلا الخير بمحض إرادته، فالكائن الذي يفعل الخير آليا لا نحكم على فعله بالخيرية، فالحكم بخيرية الفعل يستدعي حرية الفاعل و ذلك لأنها ذات حرة في اختيارها عرفت وأدركت الخير والشر واختارت بينهما، فإرادة الفعل الحرة بالنسبة لإقبال شرط ضروري لعمل الخير.

اعتبر إقبال أنّ ظهور الذات الإنسانية الحرة في الأرض مغامرة عظمى، لأنّ المقدرة على اختيار الخير تعني كذلك القدرة على اختيار الشر وفعله، وفسّر إقبال هذه المغامرة بأنّها دليل على الثقة الإلهية في الإنسان، والذي عليه أن يثبت جدارته وأنّه أهل للثقة، حيث يقول "فإنّ على الإنسان أن يبرهن على أنّه جدير بهذه الثقة. وربما كانت مغامرة كهذه هي وحدها التي تسمح بإمكانية الابتلاء، كما تسمح – في نفس الوقت – بتنمية القوى الكامنة لكائن خلقه الله على: { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ }[2]"[3]، و مع هذا التفسير لقدرة الإنسان على التمييز بين الخير و الشر يبين لنا إقبال أنّ منح الإنسان حرية الإرادة متناغم جدا مع سنة الابتلاء. التي فهمها من خلال تدبّر قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[4]، فالخير والشر رغم تناقضهما إلّا أنهما لا يفهمان إلّا في إطار الوحدة التي تسمح بفهم الأشياء في إطار كليّ بما يربطها من عناصر ويحكمها من علاقة، وأنّ فصلنا الخير عن الشر وفصل الأشياء ككل ما هو إلا محاولة عقلية منطقية لفهم الأمور التي يعجز عن إدراكها. وإعادة جمع ما تمّ تفكيكه بغرض الفهم ضرورة معرفية لإعطاء الصورة الكاملة للأمور ومقاربة رؤية الحقيقة في صورتها الأسمى، هذه الصورة التي تبيّن أنّ الكون والأرض بالنسبة للذات الإنسانية هو أشبه بمقام تدريب لها لتظهر أفضل ما فيها وتطوّر من قدراتها بالحركة الدائمة نحو التحسين المستمر[5]، وهذا كلّه مبثوث في القرآن الذي يخبرنا أنّ الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، يملك كلّ الأدوات التي تساعده على اكتشاف الحسن الذي بثّ في ذاته.

إن الذات الإنسانية في عملية إثبات وجودها وإثبات جدارتها بالثقة الإلهية التي منحتها إرادة حرة تميل إلى تقديم نفسها في الكون كذات متميّزة وهذا ما يكشفه إقبال من خلال فهمه لقصة هبوط آدم والتي تميّزت بمرحلتين كلّ مرحلة عبّرت عنها حادثة مذكورة في القرآن عن هبوط آدم، حيث"...تتعلق الحادثة الأولى للإنسان في قصة القرآن برغبة الإنسان في المعرفة، وتتعلق الحادثة الثانية برغبته في التكاثر الذاتي والقوة"[6].

---

[1]- المصدر، السابق، ص140.

[2]- سورة التين،الآية: 5/4.

[3]- المصدر، السابق، ص144.

[4]- سورة الأنبياء، الآية: 35.

[5]- انظر، أيضا محمد إقبال الشاعر، المفكّر والفيلسوف، ص130.

[6]-المصدر، السابق، ص 144.

– ***إرادة المعرفة والقدرة على التعلّم :*** شغف الإنسان بالمعرفة وقدرته على تحصيلها، والتي تفهم من خلال ذكر قصة هبوط آدم مباشرة بعد الآيات التي ذكرت تميّز آدم وتفوقه على الملائكة من خلال تعرفه على الأسماء كدلالة على امتلاك الإنسان لقدرة المعرفة التصورية. هذه القدرة التي أراد الشيطان لآدم أن ينحرف عنها عندما أغواه للأكل من الشجرة المنهي عنها، وهو بهذا يريد لآدم أن يزيغ عن سنة التعلم الموضوعة فيه إلى الجهل، وما الهبوط بآدم إلى الأرض إلّا لقصد إعادة توجيه وإرشاد سنّة التعلّم فيه والتي تنصّ على أنّ تحصيله للعلم والمعرفة لا يكون إلّا بالتجارب والعديد من المحاولات والأخطاء التي تجعله يكتسب خبرة معرفية تساهم في نمّوه، وتحقيق هذا تطلّب أن يوضع في "بيئة معوّقة تعتمد على التراكم المتواصل للمعرفة، القائمة على الخبرة والتجربة الواقعية، وتجربة الذات المتناهية بانفتاحها على إمكانيات عديدة، لا تزداد إلّا عن طريق المحاولة والخطأ، وبناء على ذلك فإنّ الخطأ الذي يمكن وصفه بأنّه نوع من الشر العقلاني هو عنصر أساسي في بنية التجربة"[1]، فإقبال هنا يبيّن أنّ هبوط آدم لم يكن عقابا له لذنب اقترفه وإنّما هو لصالح آدم ليتغلّب على غواية الشيطان ويكتشف ذاته ويثبت للخالق أنّه أهل لثقته به.

–***نزعة الخلود في الإنسان :*** والتي تظهر في رغبة الإنسان في تحقيق القوة وذلك من خلال نزعته الجماعية في التكاثر، وهذا ما فهمه إقبال من بحث آدم عن الملك الخالد والذي فسّره بأنّه التكاثر الذاتي الجمعي الذي يساعد الإنسان في إشباع بعض من رغبة الخلود حيث يستمر النوع الإنساني وإن فني هو، وهذا ما يحققه من خلال تشارك المعارف والاستفادة من تراكماتها لفهم الكون والذات الإلهية، والقوة التي يحققها من خلال التعلّم الجمعي والخلود عن طريق التكاثر هي التي تصنع قوة الإنسان في الكون حسب اعتقاده. والقصة الثانية التي يرويها القرآن عن آدم تؤكد نزعة الخلود في الإنسان التي يسعى إلى تحقيقها عن طريق القوة والتكاثر: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى.فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى }[2]، فالفكرة المركزية في الحادثة الثانية هي أنّ آدم يرغب بتحقيق الخلود والملك والقوة ، ولأنّه كائن متناهي لا يمكن أن يحصل على كل هذا بمفرده اتخذ من الخلود الجمعي والقوة الجمعية سبيلا لذلك عن طريق التكاثر، فبالنسبة لإقبال "شجرة الخلد هي وسيلة الحياة للتمييز بين الجنسين، لتحقيق التكاثر والنجاة من الفناء الكلّي، وكأنّ الحياة تقول للموت: إذا اكتسحت جيلا من الكائنات الحية فإنني سوف أنتج جيلا آخر"[3].

اعتبر إقبال أنّ بداية الحضارة الإنسانية والتي تفهم من قصة هبوط آدم، مرتبطة بأوّل شعور بمطالب الإنسان؛ فبالنسبة له أنّ قصة هبوط آدم التي يذكرها القرآن هي لتعريف النّاس أنّ الإنسان على هذه الأرض يمرّ بمراحل ارتقاء بدأت: "...من الحالة البدائية للشهوة الغريزية إلى الشعور الواعي بأنّه يملك نفسا حرة قادرة على الشكّ والعصيان، والهبوط لا يعني أي سقوط أخلاقي، وإنّما هو تحول الإنسان من الشعور البسيط إلى أوّل بارقة للوعي بالذات، أي أنّه نوع من الصحوة من حلم الطبيعة...وقد كان أول فعل للعصيان قام به الإنسان هو أول فعل للاختيار الحرّ ولهذا نجد في رواية القرآن أول خطيئة لآدم قد غفرها الله"[4]. فالتطور الآدمي إلى إلى الإنسانية حدث عندما صار للإنسان وعي بإرادته الحرة التي تدفعه إلى اختيار مسؤول للخير أو الشر، للرفض أو القبول، وما

[1]–المصدر السابق، ص146.
[2]– سورة طه، الآية: 122/120.
[3]– المصدر، السابق، 147.
[4]– المصدر، السابق، ص143.

خطيئة آدم الأولى إلّا دلالة على إرادة الإنسان الحرة ،وكانت تلك الخطيئة هي بداية التعلّم الحر التي كشفت أمام آدم إرادته الحرة وذاته المتميّزة التي صار واعيا بوجودها، كما أنّ بدايته هذه توضّح لبنيه أنّ طريق المعرفة ليس سهلا وأنّه مبني على التجربة و الخطأ حتى يتمكن الإنسان من الوصول للصواب.

تناغما مع إيمان إقبال أنّ هناك سنّة كونية تحكم الأضداد في هذا العالم: فمهما بدا الأمر مظلما فإنّ النور كان فيه، ومهما اشتدّ شعور الإنسان بالقبض فإنّ البسط فيه وأنّ النهاية في حركة التداول والتدافع التي بين الأضداد في الكون دائما تكون لصالح الخير الطيب وهذا ما أطلق عليه إقبال فكرة التحسينية؛ حيث يقول عنها: "... تعترف بعالم ينمو ويحركها الأمل في انتصار الإنسان على الشرّ في نهاية المطاف"[1]. بناء على ما سبق فإنّ تصور إقبال لهبوط آدم والذي اكتشفه وشكّله من خلال تدبّره للقرآن الكريم لم يكون هبوطا تشاؤميا بالنظر إلى المقصد منه كما تمّ تفسيره عند بعض رجال الدين، بل كان واقعيا ذو نظرة سننية تيّسر للإنسان فهم ثنائية الحسن والقبح واليسر والشقاء، انطلاقا من القرآن الكريم الذي يعلّم الإنسان كيف يسخّر الطبيعة، ويذكّره بأنّه كائن مكرّم في الأرض. فالقرآن في قصة هبوط آدم وكما فهمها إقبال يقدّم لنا صورة فيها الكثير من التفاؤل عن حياة الإنسان في الأرض ونزوله إليّها، وذلك من خلال تعريف الإنسان بما يملكه من قدرات ذاتيه تؤهله لعمارة الأرض مع ذكر النقائص التي فيه ودفعه لتطويرها ليصل بها إلى أرقى ما في ذاته، وكيف بتجاوز فكرة الحدية والتجزئة المنطقية للأمور التي تجعل الإنسان يفهم ما يحدث معه وحوله فهما ناقصا إلى النظرة الكلية التي تمكنه من فهم كلّ شيء ، فيستطيع أن يفهم أنّ الضيق هو دافع للسعة، وأنّ الموت دافع للحياة وأنّ الضعف دافع للقوة، فكلّ ما هو سلبي هو في الحقيقة مطية لدفع الإنسان للبحث عن الأحسن ، كما أنّ العقبات المبثوثة أمامه في الأرض ليست دلالة على أنّه مجبر وأنّ هناك قوى أكثر منه تجبره على فعله أو اختياره، إنّما هي لتظهر له إرادته الحرة التي تدفع به لتجاوز العقبات وتحويلها لمعطيات يبدع من خلالها ليصل إلى الأفضل.

3.خاتمة

كرم الله الإنسان بأن فضله على كثير ممن خلق، فمنحه العقل ليميز الأمور خيرها من شرها، صالحها من سيئها و الإرادة ليختار بها. اختلف العلماء في مسألة الإرادة الإنسان بين جبرية و دعاة الحرية. إلا أن إقبال من خلال تدبره للقرآن الكريم تجاوز هذه الانقسامات إلى نظرة كلية أثبت فيها أنّ الله شاء أن يكون للإنسان إرادة حرة منبعها وجدانه. في هذا البحث تم التطرق إلى مسألة الإرادة الإنسانية عند إقبال من خلال كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام و ذلك بالتعرف أولا على المسار العلمي لإقبال الذي شكل رؤيته الفلسفية للمسائل التي شغل المفكرين و الفلاسفة المسلمين، ثم التعريف بمضامين كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، ثم تم تقديم مسألة الإرادة عند إقبال و تم عرضها من خلال نقاط أساسية كان المرجو منها تقديم صورة واضحة عن تصور إقبال و فصله فيما اختلف فيه في مسألة الإرادة.

يمكن القول أن خلاصة رؤية إقبال للإرادة كشعور يمد الإنسان بدافع الفعل ويبعث فيه قدرة الاختيار هي من مستلزمات استخلاف الإنسان في الأرض وتمليكه قدرة التّعلم التي تميّزه عن باقي الكائنات. وهذا لا يتعارض مع الإرادة الإلهية المطلقة، حيث شاء سبحانه أنّ يميّز كائنا من كائناته بها وأنّ يجعل له مطلق الإرادة والاختيار والقدرة على تمييز الخير والشرّ وتحمّل مسؤولية الفعل.

[1]-المصدر، السابق،ص138.

كما وأكدّ إقبال أنّ قراءة وفهم مسألة الإرادة الإنسانية يحتاج إلى قراءة شمولية كلية للقرآن والكون حيث لا يمكن كشف إرادة الإنسان الحرة إلّا من خلال فهم الذات الإلهية، وفهم الكون الذي تتجلي فيه المشيئة الإلهية .

إنّ فكر إقبال التجديدي الذي عرضه في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، يستحق القراءة والتعمق في مسائله، فكلّ فصل من الكتاب يحوي العديد من المسائل المهمّة التي شغلت الفكر الإسلامي والإنساني والتي تمكّن محمد إقبال من مناقشتها والتأصيل لها وتقديم رؤيا جديدة مقصدها الأساسي هو بعث إرادة التغيّر في الذات الإنسانية لاستعادة الإنسان الخليفة الذي ضاع وسط الفلسفات المادية والقراءات التقليدية للدين.

4.قائمة المراجع:

1- القرآن الكريم

2- إقبال محمد ، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس، تقديم، الشيماء الدمرداش العقالي ،دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، سنة: 2011.

3- إقبال محمد، جاويد نامه، رسالة الخلود، ترجمة: محمد سعيد جمال الدين، مكتبة الشروق الدولية، سنة: 2007.

4-إقبال محمد، ديوان الأسرار والرموز، تح: عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ط: 2012.

5- البهي محمد ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة،سنة: 1957.

6- الجرجاني علي بن محمد، التعريفات،تح: محمد صدّيق المنشاوي،دار الفضيلة، القاهرة، سنة:2004.

7- حنفي حسن، فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، الطبعة :1، يونيو: 2019.

8- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، سنة1983 .

9- عزام عبد الوهاب، محمد إقبال وفلسفته وشعره، بيروت، سنة: 1972.

10- فخري ماجد، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تح: كمال اليازجي، الجامعة الأمريكية، بيروت

11- مدكور، إبراهيم ، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع القاهرة.

12-المصري حسن مجيب، محمد إقبال في السماء، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة: 1973.

13- محمد، أمان صافى، تأثير فكر الأفغاني في يفلسفة إقبال،ط:1، سنة:1995 ص40

المقالات:

1- ، الشريف الزيتوني، الذات الإنسانية في فلسفة محمد إقبال، مجلة الأصالة للدراسات والبحوث، عدد10، سنة: 2019.

2- الميلاد زكي، نقد إقبال، كيف نقرأ إقبالا اليوم؟، كتاب الفيصل، الكتاب 19، مجلة الفيصل العددان:494/493.

3- الميلاد زكي، محمد إقبال وتجديد الفكر الديني في الإسلام، مجلة ثقافتنا، العدد 11.

4- بخضرة مونيس، محمد أقبال و سؤال الحرية في الإسلام، مقاربات فلسفية، المجلد 08 العدد 01، سنة 2021.